

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم { وإذا قيل لهم تعالى استغفروا لكم رسول الله لووا رؤوسهم } أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكبارا عن ذلك واحتقارا لما قيل لهم ولهذا قال تعالى : { ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون } ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى : { سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين } كما قال في سورة براءة وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الأحاديث المروية هنالك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر العدني قال : قال سفيان { لووا رؤوسهم } قال ابن أبي عمر : وحول سفيان وجهه على يمينه ونظر شزرا ثم قال : هو هذا وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبي بن سلول كما سنورده قريبا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان وقد قال محمد بن إسحاق في السيرة : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يعني مرجعه من أحد وكان عبد الله بن أبي بن سلول كما حدثني ابن شهاب الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفا إذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع يعني مرجعه بثلاث الجيش ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجرا أن قمت أشدد أمره فلقية رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قمت أشدد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني لكأنما قلت بجرا أن قمت أشدد أمره قالوا : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي وقال قتادة والسدي : أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وذلك أن غلاما من قرابته انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بحديث عنه وأمر شديد فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه وأنزل الله فيه ما تسمعون وقيل لعدو الله : لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يلوي رأسه أي لست فاعلا وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلي فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه

أن عبد الله بن أبي بن سلول قال : ليخرجن الأعز منها الأذل فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار وقيل لعبد الله بن أبي : انت النبي صلى الله عليه وسلم حتى يستغفر لك فأنزل الله تعالى : { إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون * اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون * ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون * وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون * وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم { وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير وقوله : إن ذلك كان في غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد فإن عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق .

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : حدثني محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة في قصة بني المصطلق فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري وكان أجيرا لعمر بن الخطاب وسان بن وبر قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن يحيى بن حبان قال : ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان : يا معشر الأنصار وقال الجهجاه : يا معشر المهاجرين وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي فلما سمعها قال : قد ثاورونا في بلادنا والله ما مثلنا وجلاتيب قريش هذه إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من عنده من قومه وقال : ما صنعت بأفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو كففتهم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها فسمعها زيد بن أرقم ه فذهب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهو غليم عند عمر بن الخطاب ه فأخبره الخبر فقال عمر إذا فكيف [م] وسل عليه الله صلى الله عليه وسلم قال عنقه فليضرب بشر بن عباد مر الله رسول الله : ه تحدث الناس يا عمر أن محمدا يقتل أصحابه لا ولكن نادى يا عمر الرحيل [فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فاعتذر إليه وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقالوا : يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل .

وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجرا في ساعة كان لا يروح فيها فلقية أسيد بن الحضير فقال فيها تروح كنت ما منكرة ساعة في رحت لقد والله : قال ثم النبوة بتحية عليه وسلم ه رسول الله A : [أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل] قال : فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل ثم قال : ارفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لتوجه فإنه ليرى أن قد سلبتة ملكا فسار رسول

١٨ A بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشتغلهم عما كان من الحديث فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا بشر بن موسى حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمر بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنا مع رسول الله A في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار : فقال الأنصاري : يالأنصار ! وقال المهاجرين يا للمهاجرين فقال رسول الله A : [ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فإنها منتنة] .

وقال عبد الله بن أبي بن سلول : وقد فعلوها والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال جابر : وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله A ثم كثر المهاجرون بعد ذلك فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي A : [دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه] ورواه الإمام أحمد عن حسين بن محمد المروزي عن سفيان بن عيينة ورواه البخاري عن الحميدي ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن سفيان به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن محمد بن كعب القرظي عن زيد بن أرقم قال : كنت مع رسول الله A في غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبي : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال : فأتيت النبي A فأخبرته قال : فحلف عبد الله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك قال : فلامني قومي وقالوا : ما أردت إلى هذا ؟ قال : فانطلقت فنمت كئيبا حزينا قال : فأرسل إلي النبي A فقال : [إن الله قد أنزل عذرك وصدقك] قال : فنزلت هذه الآية { هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا و... خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون } يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل { ورواه البخاري عند هذه الآية عن آدم بن أبي إياس عن شعبة ثم قال : وقال ابن أبي زائدة عن الأعمش عن عمرو بن ابن أبي ليلي عن زيد عن النبي A ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضا من حديث شعبة به .

(طريق أخرى عن زيد) قال الإمام أحمد C : حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبي بكير قالا : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال : سمعت زيد بن أرقم وقال ابن أبي بكير عن زيد بن أرقم قال : خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله A ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله A فأرسل إلي رسول الله A فحدثته فأرسل إلى عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فكذبني رسول الله A وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط وجلست في البيت فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله A ومقتك ! قال حتى أنزل الله { إذا جاءك

المنافقون { قال : فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله ﷺ علي ثم قال : [إن الله قد صدقك] ثم قال أحمد أيضا : حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق أنه سمع زيد بن أرقم يقول : خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا : كذب زيد يا رسول الله ﷺ فوقع في نفسي مما قالوا فأنزل الله ﷻ تصديقي { إذا جاءك المنافقون } قال ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم .

وقوله تعالى : { كأنهم خشب مسندة } قال كانوا رجالا أجمل شيء وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث زهير ورواه البخاري أيضا والترمذي من حديث إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي عن زيد به .

(طريق أخرى عن زيد) قال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي سعيد الأزدي قال : حدثنا زيد بن أرقم قال : غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقوننا إليه فسبق أعرابي أصحابه ليملاً الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه قال : فأتى رجل من الأنصار الأعرابي فأرعى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه فانتزع حجرا فغاص الماء فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجه فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال : لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله يعني الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام فقال عبد الله بن أبي لأصحابه : إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمدا بالطعام فليأكل هو ومن معه ثم قال لأصحابه : لئن رجعتكم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل .

قال زيد وأنا ردف عمي قال فسمعت عبد الله بن أبي يقول ما قال فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف ووجد قال فصدقه رسول الله ﷺ وكذبني قال فجاء إلي عمي فقال ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون قال فوقع علي من الغم ما لم يقع على أحد قط قال فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر وقد خفت برأسي من الهم إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا ثم إن أبا بكر لحقني وقال : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قلت : ما قال شيئا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي فقال : أبشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولني لأبي بكر فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين انفرد بإخراجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح وهكذا رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي عن سعيد بن مسعود عن عبيد الله بن موسى به وزاد بعد قوله سورة المنافقين { إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك

لرسول ا { حتى بلغ { هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول ا { حتى ينفصوا { حتى بلغ { ليخرجن الأعز منها الأذل } .

وقد روى عبد ا بن لهيعة عن أبي الأسود عروة بن الزبير في المغازي وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أيضا هذه القصة بهذا السياق ولكن جعلنا الذي بلغ رسول ا A كلام عبد ا بن أبي بن سلول إنما هو أوس بن أرقم من بني الحارث بن الخزرج فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع وا أعلم وقد قال ابن أبي حاتم C : حدثنا محمد بن عزيز الأيلي حدثني سلامة حدثني عقيل أخبرني محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري أخبراه أن رسول ا A غزا غزوة المريسيع وهي التي هدم رسول ا A فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل وبين البحر فبعث رسول ا A خالد بن الوليد فكسر مناة فاقتتل رجلان في غزوة رسول ا A تلك أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز وهم حلفاء الأنصار فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزي فقال البهزي : يا معشر الأنصار فنصره رجال من الأنصار وقال المهاجري : يا معشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل في قلبه مرض إلى عبد ا بن أبي بن سلول فقال : قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لا تضر ولا تنفع قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب فقال عبد ا بن أبي عدو ا : وا { لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل } .

قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين : ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول ا حتى ينفصوا فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتى رسول ا A فقال : يا رسول ا ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه يريد عمر عبد ا بن أبي فقال رسول ا A لعمر : [أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟] قال عمر : نعم وا { لئن أمرتني بقتله لأضربن عنقه فقال رسول ا A : [اجلس] فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الأنصار ثم أحد بني عبد الأشهل حتى أتى رسول ا A فقال : يا رسول ا ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه فقال رسول ا A : [أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟] قال : نعم وا { لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه فقال رسول ا A : [اجلس] ثم قال رسول ا A : [آذنوا بالرحيل] فهجر بالناس فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل } .

فلما قدم رسول ا A المدينة أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول ا A : [أي عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟] قال عمر : نعم فقال رسول ا A : [وا { لو قتلتته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله امثلوه فيتحدث الناس أني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبرا] وأنزل ا D { هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول ا حتى ينفصوا و { خزائن

السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون * يقولون لئن رجعنا إلى المدينة { الآية وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه وقال محمد بن إسحاق بن يسار : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي لهي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي لهي فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي لهي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله A : [بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا] .

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي لهي قال له ابنه : وراءك ! فقال : مالك ويلك ؟ فقال : والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله A فإنه العزيز وأنت الذليل فلما جاء رسول الله A وكان إنما يسير ساقية فشكا إليه عبد الله بن أبي لهي فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله A فقال : أما إذا أذن لك رسول الله A فجز الان وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده : حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا أبو هارون المدني قال : قال عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول لأبيه : والله لا تدخل المدينة أبدا حتى تقول : رسول الله A الأعز وأنا الأذل قال وجاء إلى النبي A فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ولئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فإني أكره أن أرى قاتل أبي